الإباضيون بين النشأة والازدهار في البصرة

دكتور محمد نيسان سليمان
جامعة الأزهر بأسيوط

البحث يتناول الأباضيين من جوانب تاريخية ، كظاهرة اجتماعية سياسية ، ظهرت فى المجتمع الاسلامى ، شملت العصر الأموى والعصر العباسى أيضا ، ودارت بينهم معارك ، تشـير بذلك ، حتى لا يتوهم القارىء أنها دراسة مذهبية ، فان مجالها واسع ، ولها رجالها ، فهم بحق أقدر منا فى مجال البحث العقدى المذهبى .

تشهد أمة الاسلام فى هذا العصر على امتداد الأرض متغيرات مادية واجتماعية فى العالم الواسع ، يمكن أن تنعكس هذه المتغيرات على امكانات أمة الاسلام بالسلب ، ويمكن أيضا أن تستثمر فيها الأجواء الصالحة لاثبات وجود الأمة الاسلامية ، وذلك لتأكيد هويتها من جانب ، ولتبليغ رسالة الاسلام من الجانب الآخر ، وقد رأينا منذ منتصـف القرن الرابع عشر الهجرى ، جمهور أوربا يسعى لتوحيد مذاهب أهل الصليب تحت انتماء واحد ، وقد نجحوا فى ذلك الى حد ما ، كما رأينا الشطر الثانى من وقوع الصراع فى عالمنا المعاصر ، يحاولون تجـاوز التناقضات فى مذاهب الالحـاد والعلمنة ، على أمل أن يكون الشرق الشيوعى الملحد هو الآخر قوة فى مواجهة أطماع الغرب الرأسمالى .

وذلك لاقتسام مقدرات العـالم المعاصر ، ومن هنا لم يكن غريبا على أمة الاسلام ، وقد حباها الله تعالى بكل امكانات تأكيد وجودهـا

وامكانات تبليغ رسالة ربها فى العصر الحديث ، أن تملأ أجواء حياتها بشائر تلك الصحوة الدينية والحضارية التى تشهدها بعض بلاد المسلمين لكنه قد يحدث وأمام الأمل المرتجى فى أن تكون حركة الصحوة لأمة الاسلام نحو الالتزام والالتفاف والتطبيق لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعلو بعض الأصوات بالمذهبية أو الطائفية ، كما تحاول دائما وأبدا ، على امتداد تاريخ أمة الاسلام جماعات الشعوبية والعرقية والباطنية وغيرها من المسميات وكل هذه النزعات مظاهر سلب تحسب على أمة الاسلام ، تعوق الحركة ، وتكدر الصفو والصحو ، لكنه مع بشائر الصحوة ، ومنذ بدأت حركات الجهاد ضد الاستعمار الحديث فى جميع صوره ، رأينا أصحاب المذهب الأباضى ، وهم جمهور قليل على الأرض الاسلامية ، يقاتلون الاستعمار ببسالة ويصمدون للتضحيات بصبر المؤمن وجلده ، ولقى هذا الجهاد من كافة المسلمين التقدير والاحترام ، والمتابع لهذا الجانب من النشاط الفكرى والعقدى عند الاباضية ، قد تجيش نفسه بالأمل المرتجى الذى يجب أن تحققه عناصر أمة الاسلام بوحدة انتماء أبنائها نحو كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم •

وهذا البحث الموجز عن الاباضيين ليس عرضا مذهبيا لقصة ونشاط المذهب وليس دراسة لمجمل فقههم ومختلف اجتهاداتهم ، انما هو دراسة للجوانب التاريخية لنشأتهم وازدهارهم •

أصل التسمية :

اختلف المؤرخون المسلمون اختلافا واضحا فى أصل الاباضية وزمن نشوئها ، ويتضح لنا هذا الاختلاف فى طبيعة الروايات المقتضبة التى أوردها هؤلاء المؤرخون •

فقد عزا بعض المؤرخين الرواد الأباضية الى عبد الله بن أباض

ولم يشيروا الى العصر الذى عاش فيه ، وقد تبعهم فى ذلك عدد من كتاب الفرق والعقائد (١) .

أما المقدسى ، فينسب الأباضية الى الحارث بن أباض ، ولم يذكر الفترة التى عاش فيها (٢) .

وتظهر بعض الروايات فى كتب الفرق الأرتباك فيما يتعلق بنسبتهم فالملطى ينسب الأباضية الى عبد الله بن أباض ولكنه يقول فى موضع آخر : أنهم « أصحاب أباض بن عمرو الذين خرجوا من سواد الكوفة فقتلوا وسبوا الذرية (١) وعلى هذا يكون منشأهم فى الكوفة اذ يشير الى بقاياهم الى ما بعد منتصف القرن الرابع الهجرى (٣) .

والشهرستانى وان نسب الأباضية الى عبد الله بن أباض الا أنه يجعل خروجه فى أواخر الدولة الأموية وعلى ذلك تكون وفاة ابن أباض فى نهاية الدولة الأموية،اذ يشير الى مقتله مع عبر الله بن يحيى(٤) .

---

(١) ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ، المعارف . (القاهرة ١٩٦٠) ص ٦٢٢ ـ الداشىء الاكبر ، عبد الله بن محمد ، مسائل الامامة، (بيروت ، ١٩٧١) ص ٦٨ ـ الرازى ، أبو حاتم أحمد بن حمدان ، الزينة فى الكلمات الاسلامية ، (بغداد ، ١٩٧٢) ص ٥٤ ـ البغدادى عبد القاهر بن ظاهر ، الفرق بين الفرق (بيروت ، ١٩٧٣) ص ٨٢ .
راجع لسان العرب لابن منظور جـ ٧ ص ١١ ، تاج العروس للزبيدى جـ ٥ ص ٢ .

(٢) المقدسى ، مطهر بن طاهر ، البدا والتاريخ ، (باريس،١٩١٦)، ١٣٨/٥ .

(٣) الملطى ، أبو الحسين محمد بن أحمد ، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (بيروت ، ١٨٩٦) ص ٥٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥٢ .

ولعله يقصد عبد الله بن يحى الكندى والملقب بطالب الحق الذى ثار فى أواخر الدولة الأموية (٥) ٠

أما السمعانى ، فيبدو أن معلوماته مقتضبة ومتأخرة عن الأباضية ، فقال أنهم : « أصحاب الحارث الأباضى ويقال لهذه الحارثية »(٦) والمعلوم ان الحارثية هى احدى الفرق الأباضية المتأخرة (٧) ٠

أما شخصية عبد الله بن أباض ، فقد صورها بعض كتاب الفرق على أنها شخصية قلقة لا يقر لها قرار ولا يطمئن للمبادىء التى يعتنقها فابن حزم فى رواية له يذكر « أن عبد الله بن أباض يرجع فى أقواله الى الثعالبة الصغرى » والى قول الثعالبة رجع عبد الله بن أباض منه أصحابه (٨) ٠ ومما جعل ابن حزم يطمئن الى هذه الرواية أن الأباضية المعاصرين له لا يعرفون شيئا عن سيرة عبد الله بن أباض مع أنهم ينسبون اليه « ولقد سألنا من هو متقدمهم فى علمهم ومذهبهم فما عرفه أحد منهم » (٩) ، ويتفق رشوان الحميرى مع ابن حزم فى تحديد ملامح شخصية ابن أباض ، الا أنه يذكر لنا أنه رجع الى الاعتزال وترك مبادئ الأباضية ، ودليله على ذلك أن أصحابه لا تعظمه ، قال بو القاسم البلخى(١٠) : « حكى أصحابه أن عبد الله بن أباض لم يمت حتى ترك

---

(٥) الشهرستانى ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل (المكتب الأنجلو مصرية ٠ لات) ١/٨٠ ٠

(٦) انظر الفصل الثالث من الرسالة ٠

(٧) السمعادى ، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور ، الأنساب (حيدرآباد ١٩٦٦) ص ٨٧ ٠

(٨) ابن حزم ، أبو محمد أحمد بن حزم الظاهرى ، الفصل فى الملل والأهواء والنحل (القاهرة ، لات) ٤/١٩٣ ٠

(٩) المصدر السابق ٤/١٩٣ ٠

(١٠) أبو القاسم البلخى ، أحد أئمة المعتزلة ٠ الزركلى ٠ خيرالدين والاعلام مطبعة كوستاموس ١٩٥٤ ٠ ٤/١٨٤ ٠

قوله اجمع ، ورجع الى الاعتزال والقول بالحق ، والذى يدل على ذلك أن أصحابه لا يعظمون أمره » (١١) .

وعند مناقشة روايتى ابن حزم والحميرى السابقتين ، يتبين لنا عدم صحتهما ، ذلك لأن عبد الله بن أباض كان معاصرا لعبد الله بن صفار ، وكانت بين ابن أباض وابن صفار مناظرات عقائدية يظهر فيها برائته من الأفكار الصفرية أولا (١٢) ، ثم ان الثعالبة احدى فرق المجاردة ، وهم من الخوارج أيضا فعلى هذا لا توجد علاقة بين الصفرية والثعالبة ثانيا (١٣) .

ومن جهة ثالثة لا يمكن الركون لرواية الحميرى ، لأنه أراد أن يعزز وجهة نظره العقائدية ، لأنه يميل الى الاعتزال ، كما أنه اعتمد رواية معتزلى هو أبو القاسم البلخى ، كما يظهر من نص الرواية سالفة الذكر (١٤) .

ومن المؤرخين المتأخرين المقريزى الذى قال بنسبتهم الى عبد الله ابن أباض ويسميه الحرث بن عمر ، ويشير الى خروجه فى أواخر الدولة

---

(١١) الحميرى أبو سعيد دشوان سعيد بن دشوان ، الحور العين (طهران ١٩٧٢) ص ١٧٣ .

(١٢) الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك (القاهرة ، ١٩٧١) ٥/٥٦٨ .

(١٣) البغدادى . الفرق بين الفرق ، ص ٨٠ ـ الكرمادى محمد ابن يوسف بن على الفرق الاسلامية ذيل كتاب شرح المواقف (بغداد ١٩٧٠) ص ٧٧ . الثعالبة اتباع ثعلبة بن مشكان أمامهم بعد عبد الكريم ابن عجرد وقد افترقا نتيجة لاختلافهما فى حكم الأطفال . انظر البغدادى الفرق بين الفرق ص ٧ ـ ٨ .

(١٤) الحميرى ، الحور العين ص ١٧٣ .

الأموية ، ويرى أنه من غلاة المحكمة ، الا أنه يورد احتمالا ثانيا فيما يتعلق بنسبة الاباضية الى قرية اباض بالعرض من اليمامة (١٥) ، وقد انفرد المقريزى بهذه الاشارة دون غيره من المؤرخين •

ومن هذا العرض تظهر الصورة الغامضة لشخصية عبد الله أباض ، الذى نسبت اليه الاباضية ، وبالتالى الغموض الذى لف تاريخ هذه الفرقة الاسلامية وأصلها •

سيرة ابن اباض الأولى :

يتفق أغلب المؤرخين الذين تطرقوا الى سيرة ابن أبـاض على انتمائه الى قبيلة تميم القاطنة فى البصرة بشكل خاص ، فهو عبد الله ابن أباض من بنى مرة بن عبيد(١٦) رهط الأحنف بن قيس التميمى(١٧) •

ذكر ازكوى : أنه « نشأ فى زمان معاوية بن أبى سفيان وعـاش الى زمن عبد الملك بن مروان ••• » (١٨) ويحتمل أنه ولد فى العقد الأول من خلافة معاوية بن سفيان (٤١١ ــ ٦٠ هـ) وبهذا يكون عمره عنـد اشتراكه فى الدفاع عن مكة المكرمـة مع المحكمة الأولى بجانب

---

(١٥) المقريزى • تقى الدين أبى العباس ، أحمد بن على ، الخطط المقريزية (بولاق ، ١٢٩٤هـ /٢/٣٥٥) •

(١٦) المبرد أبو العباس ، محمد بن يزيد ، الكامل ، باب الخوارج (دمشق ، لات) ، ص ١١٨ •

(١٧) مؤلف مجهول • قطعة من كتاب الأديان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقـم ٢٢٢٨٩ ب ، ورقة ٩٨ أ • وقال الرقيشى : الاباضـيون متسـوبون الى عبـد الله بن اباض من نعيم من بنى مرة بن عبيـد وهط الأحنف بن قيس مصباح الظلام ورقة ١٩ أ •

(١٨) الازكوى ، كشف الغمة ، ورقة ٢٤٤ ب •

عبد الله بن الزبير ضد القوات الأموية عام ٦٤هـ لا يتجاوز أربعة وعشرين عاما ، ويتضح من الرسالة (١٩) التى كتبها ردا على رسالة عبد الملك بن مروان (٦٥ هـ ٦٨٤ م — ٨٦ هـ ٧٠٥ م) ما يوافق صحة هذا الاستنتاج اذ يظهر من قدمها أنه كان مدركا مميزا بين الحق والباطل : « فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله ولا صحة ، غير انا قد ادركناه ورأينا عمله وسيرته فى الناس ... » (٢٠) .

وقد ورد نص آخر فى هذه الرسالة يقول فيه : « ونطيع من أحل لكما طاعته فى كتابه ونعصى من أمر الله بمعصيته .. فهو الذى ادركنا عليه نبينا صلى الله عليه وسلم .. » (٢١) . وهذا النص يضعنا أمام احتمالين فيما يتعلق بادراكه النبى صلى الله عليه وسلم فالاحتمال الأول : ربما يعنى علمه ومعرفته بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والاحتمال الثانى معاصرة للرسول صلى الله عليه وسلم فى أواخر حياته .

---

(١٩) عبد الله بن اباض ، السيرة المنسوبة اليه ضمن كتاب سير وتراجم العلماء المرسوم : بالسير الحمادية) بمكتبة الامام غالب بن على بالامام المملكة العربية السعودية ، ورقة ٧ — البرادى أبو الفضل أبو القاسم بن ابراهيم الجوهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات ، ص ١٦٣ — كشف الغمة ، ورقة ٢٠٥ أ .

(٢٠) سيرة عبد الله ابن اباض ورقة (٧) — كشف الغمةورقة٢٠٥ أ ورد النص أعلاه فى الجواهر المنتقاة بشكل آخر مع تطابق فى المعنى « فلا تسأل عن معاوية وعن صناعته غيرى لأنى قد أدركته ورأيت عمله وسيرته » البرادى ، الجواهر المنتقاة ص ١٦٣ .

(٢١) سيرة ابن اباض ورقة ٨ ورد النص أعلاه فى الجواهر المنتقاه بالشكل الآتى « وان نطيع من أمر الله بطاعته .. » البرادى ، الجواهر المنتقاة ص ١٦٦ .

ولا يمكننا أن نحدد تاريخا لوفاته لطول فترة حكم عبد الملك بن مروان الممتدة من (٦٥ هـ / ٦٨٤ م — ٨٦ هـ / ٧٠٥ م) ، غير اننا نستطيع الجزم من خلاله ما تضمنته الرسالة أنه عاش بعد سنة (٦٧هـ/ ٦٨٦ م) ، اذ أشار فيها الى هزيمة المختار بن عبيدة الثقفى من قبل مصعب بن الزبير(٢٢) .

ويشير بعض الكتاب المحدثين الى اضطراب المؤرخين فى سيرته وتاريخ وفاته ويذهب الى القول : بأن ابن أباض كان معاصرا لمعاوية بن أبى سفيان وعاش الى أواخر حكم عبد الملك بن مروان (٢٣) .

ويذهب المؤرخ الأباضى للشيخ على يحيى معمر ، بأن عبد الله بن أباض عاش بعد وفاة جابر بن زيد أحد أئمة الفرقة الاباضية يقول معمر : « وعبد الله بن اباض كان صدوه وتلاوه » .. وبعد وفاة جابر ابن زيد ظهر عبد الله بن أباض بأحلى مظاهر الغيرة الدينية(٢٤) « ولما كان جابربن زيد قد توفى على أقل الروايات عام ٩٣ هـ (٢٥) وأكثرها عام ١٠٤هـ(٢٦) . فتكون وفاة عبد الله بن أباض بعد هذين التاريخين وهذا خلاف ما ذكره الازكرى من أنه « اش الى زمن عبد الملك الى زمن

---

(٢٢) السير الحمادية ، سيرة ابن اباض ، ورقة ٦ . البرادى الجواهر المنتقاة ص ١٦٣ .

(٢٣) الزركلى ، خير الدين ، الاعلام ٤/١٨٤ .

(٢٤) معمر ، على يحيى ، الاباضية فى موكب التاريخ الحلقة الأولى (القاهرة : ١٩٦٤) ص ١٥١ .

(٢٥) العصفرى ، خليفة بن خياط ، الطبقات ، (بغداد ١٩٦٧) ص ٢١٠ .

(٢٦) الازدى أبو زكريا ، محمد بن يزيد ، تاريخ الموصل ، (القاهرة ، ١٩٦٧) ص ٢١٠ .

والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو : اذا كان عبد الله بن أباض مؤسسا للمذهب الاباضى ؟ ، فلماذا لا نلاحظ اثارة العقائدية والفقهية فى مؤلفات الاباضية ، وأمهات كتبهم خاصة (٣٢) ، وما وردنا عنه الا رسالته لعبد الملك بن مروان ، ورد على دافع بن الأزرق الذى يمثل وجهة نظره فى القعود احتفظت به كتب الأخبار بين غير الأباضية(٣٣) .

وهنا نكون امام احتمالين ، تدعمهما الوقائع التاريخية ، الاحتمال الأول : أن عبد الله بن أباض ، أحد مجتهدى الأباضية وعلمائها البارزين (٣٤) ، وقد عبر عن وجهة نظر المعتدلين ، من المحكمة الأولى ، وقد غلبت شهرته عليهم فسموا بالأباضية،وقد أوضح الخطوط العريضة للفكر الأباضى مميزا بينهم ، وبين الحركات الخارجية المتطرفة كالأزارقة والنجدات ، وغيرهم من الخوارج .

ومن وجهة أخرى ، ونتيجة للمراسلات التى جرت بين عبد الله بن أباض وعبد الملك بن مروان فقد خيل للسلطة الأموية ، ووقع فى ظنها أن عبد الله ابن اباض هو المؤسس للدعوة الاباضية ، ولهذا نسب اليه المذهب الأباضى ، وسمى باسمه .

والاحتمال الثانى : وهو أن الجماعة المعتدلة من المحكمة الأوائل أوعزت الى عبد الله بن أباض ليكون المتكلم والمناظر المعبر عن وجهة

---

(٣٢) انظر : المدونة الصغرى ، لأبى بشر بن خادم الخرسانى . فى الفقه الاباضى . الجامع لأبى محمد عبد الله بن محمد بن بركة العمانى مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٢١١١٣ ب .

(٣٣) الطبرى الرسل والملوك ٥٠/٥٦٨ .

(٣٤) أبو سنة . أبو عبد الله محمد بن عمر وحاشية على شرح قواعد الاسلام مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٠٦٩ ب . ورقة ٢٦ ب .

نظرهم المبدئية ، وخـير دليل على ذلك أن النشـاط السرى « مرحلة الكتمان » وجد قبل المراسـلات بين عبد الله بن أباض ، ونافـع بن الأزرق(٣٥) وسبق تبادل الرسائل بين عبد الله بن أباض وعبد الملك بن مروان ، وهذا ما يؤكد سرية النشاط الاباضى فى البصرة ، اذا لم تجدر المراسلة بين قيادة التنظيم السرى والسلطة المركزية بدمشق ، وكان المفروض أن يجرى تبادل الرسائل بين جابر بن زيد وعبد الملك ابن مروان ، ومما يؤيد هذا الرأى ما ذكره الشماخى : بأن ابن أباض « يصدر فى أمره عن رأى جابر بن زيد »(٣٦) ورواية الرقيشى التى يقول فيها : « فقد بلغنا أن أباض بلال الا بأمر امامهم فى دينهم جابر ابن زيد المعانى رحمه الله ، ومشورته ، ويحبون سـتره عن الحرب ، لئلا تموت دعوتهم ، وليكن رداء لهم ... »(٣٧) .

وهكذا يتضح لنا من خلال هذه النصوص ان ابن أباض لم يكن الا شخصية مشهورة ، عبرت عن وجهة نظر الاباضية فنسب المذهب اليه لأن السلطة الأموية لم تعرف غيره من قادة المحكمة المعتدلين . وقد أدرك ذلك نور الدين السالمى فنظم هذه المعانى شعرا .

الظروف السياسية التى رافقت نشوء الاباضية :

لا يمكن معرفة نشأة الاباضـية ، بمعزل عن دراسة الظـروف السياسية التى مرت بها المحكمة الأولى(٣٨) ، فى صراعهم مع السلطة

---

(٣٥) الطبرى : الرسل والملوك ٥/٥٦٨ .

(٣٦) الشماخى : السير ، ص ٧٧ .

(٣٧) الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٢٠ ب .

(٣٨) المحكمة الأولى : أحد أسماء الخوارج من لدن فارقوا عليا الى أن حدثت محـكمة ابن الزبير وهو الذى خرجت فيه الازارقة . الناشى الأكبر ، مسائل الامامة ، ص ٦٩ .

عبد الملك بن مروان ٠٠ » (٢٧) ، ومن ناحية أخرى نلاحظ ان الكتاب الاباضية حينما يشيرون الى أئمتهم يعدون عبد الله بن أباض أولا ثم يذكرون بعده جابر بن زيد ثانيا (٢٨) ، مما يدل على خطأ الشيخ على يحى معمر وعدم تمييزه لنتاج أئمة مذهبه الأباضى ٠

وفيما عدا هذه الاشارةنلاحظ أن كتب السيرة الأباضية تكاد تسكت سكوتا مطبقا فيما يتعلق بالحياة الشخصية والسياسية لعبد الله بن اباض ، الذى نسب اليه المذهب الاباضى ، بل تجد هذه المصادر تتضارب رواياتها وخاصة فيما يتعلق بمركزه السياسى الدعوة الاباضية فالدرجيتى يعتبر عبد الله بن اباض « امام أهل الطريق المؤسس لابنية هى مستندات الاسلاف ٠٠ » (٢٩) ، وبالاضافة الى كونه مؤسسا للمذهب فهو «رأس العقد ورئيس من بالبصرة وغيرها من الأقطار(٣٠) ويلاحظ من نص الدرجينى عدم تحديد لفترة امامته ورئاسته ، كما أشار الى فضائله المشهورة « المخلفة فى بطون الأوراق » (٣١) ولم يصلنا شيء وربما أراد الاشارة الى رسالته لعبد الملك بن مروان ٠ الا أن الشماخى فى سيرة يخالف الدرجينى فيما ذهب اليه ، ويقول بامامة جابر بن زيد ويعطى دورا ثانويا لعبد الله بن اباض يقول الشماخى : « وفى حفظى أنه يصدر فى أمره عن رأى جابر بن زيد وله مناظرات مع الخوارج » ٠

---

(٢٧) كشف الغمة ، ورقة ٢٤٤ ب ٠

(٢٨) العلوى ، أحمد بن أبى بكر سميط ، مشارق أنوار العقول (مصر ، ١٣١٤هـ) ص ٣٧٥ ٠

(٢٩) الدرجيل ، أبو العباس أحمد ، طبقات الاباضية ١/ ورقة٩٣ب

(٣٠) المصدر السابق ٠

(٣١) المصدر السابق ٠

الأموية • أن الظروف العصيبة التى وجهت الأمويين ابان خلافة يزيد ابن معاوية (٦٤هـ / ٦٨٣م) ثم بعد وفاته ، مكنت الأحزاب المناوئة للسلطة الأموية من النهوض ومحاولة اسقاط الأمويين عن الحكم بكل وسيلة ممكنة ، وقد كانت للأحداث الأليمة فى المدينة المنورة على يد القائد الاموى مسلم بن عقبة فى وقعة الحرة عام (٦٣هـ) واستباحتها ، وقتل العدد الكبير من أهلها تركت هذه الوقعة أثرا بليغا لدى المحكمة الأولى فرأوا وجوب الدفاع عن مكة المكرمة(٣٩) لئلا يحل بها ما حل بالمدينة قبلها ، فاشترك عبد الله بن أباض مع أبرز شخصيات المحكمة الأولى ، كنافع ابن الأزرق ، ونجده بن عامر الحنفى ، وغيرهم من الزعماء المشهورين للدفاع عن مكة بجانب عبد الله بن الزبير(٤٠) بغض النظر عن اختلاف الأهداف السياسية للفريقين ، فقد جمعتهم مصلحة الدفاع المشترك ضد العدو الواحد ، يقول البلاذرى : (وكانوا غضبوا فقاتلوا مع ابن الزبير وهم لا يرون نصره ولكنهم احتسبوا فى جهاد أهل الشام)(٤١) •

وبعد أن قاتل المحكمة مع ابن الزبير الحصين بن معة السكونى خليفة مسلم بن عقبة الذى قام بمحاصرة ابن الزبير بمكة افترقت المحكمة مع عبد الله بن الزبير نتيجة لاختلاف المبادىء ، والأهداف وخاصة فى مسألة الخلافة ، فتركوه الى البصرة فى عام ٦٤هـ ، حيث تعرض عبد الله بن أباض مع مجموعة من أبرز قيادى المحكمة الأولى

---

(٣٩) المبرد ، الكامل ، ص ١٠٦ ، الطبرى ، الرسل والملوك ، ٥/٥٦٤ انظر فيما يتعلق بوقعة الحرة عام ٦٣هـ ، ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل عمر ، البداية والنهاية ، (بيروت ، ١٩٦٦) ، ٨/٢١٧ ـ ٢٢٢

(٤٠) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٥/٥٦٦ •

(٤١) البلاذرى ، أحمد بن يحيى بن جابر ، أنساب الأشراف جـ٤ ق ٢ (القدس ١٩٣٨) ص ١٠٢ •

الى السجن كنافع بن الأزرق ونجدة بن عامر الحنفى ، مع مائة وأربعين سجينا(٤٢) .

وفى ذات الوقت اتجهت مجموعة أخرى من المحكمة بعد فراقها لابن الزبير الى اليمامة بزعامة أبى ظالوت من بنى زمان بن مالك بن بكر بن وائل ، وعبد الله بن ثور ابن فديك بن قيس بن ثعلبة ، وعطية ابن الأسود اليشكرى الذى بايعوا فيما بعد نجدة بن عامر الحنفى وسموا بالنجدات(٤٣) .

وقد مكنت الظروف السياسية ، المضطربة ، بعد وفاة يزيد بن معاوية عام ٦٤هـ المحكمة الأولى من الخروج من سجن البصرة بصورة جماعية ، بما فيهم عبد الله بن اباض ، ونافع بن الأزرق بعد أن أصبح موقف الوالى الأموى عبيد الله بن زياد ضعيفا جدا ، مما مكن المحكمة بما لهم من قوة حجة ، وحماس وانتشار بين الأمة أن يفسدوا حتى البيعة التى حصل عليها من أهل البصرة بعد موت يزيد ، يقول المبرد : وفشوا فى الناس يدعون الى محاربة السلطان ، ويظهرون ما هم عليه ... حتى اضطرب على عبيد الله بن زياد امره »(٤٤) مما أدى الى هروبه الى الشام(٤٥) .

وقد وقفت المحكمة الأولى فى البصرة على مفترق التاريخ ، نتيجة لاختلاف واجتهاد القادة ازاء الظروف الجديدة بعد هروب عبيد الله بن زياد الى الشام . هذه المواقف التى أدت الى تحولات كبيرة أثرت على المدى التدريجى فى مسيرة المحكمة الأولى فى البصرة ، ونظرا لخلو

---

(٤٢) المصدر السابق ، الطبرى ، الرسل والملوك ٥/٥٦٣ .

(٤٣) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٥/٥٦٦ .

(٤٤) المبرد ، الكامل ، ص ١١١ .

(٤٥) الرسل والملوك ، ٥/٥٢١ القدسى ، البدا والتاريخ ٥/١٨ .

الميدان من القائد المتميز الذى يجمع المحكمة تحت رايته لتحقيق أهدافهم فى اسقاط السلطة الأموية ، فقد انقسموا الى قسمين رئيسين :

القسم الأول : من أراد الخروج بزعامة نافع بن الأزرق ، وقد ساعدهم على الخروج الفتنة القبلية فى مدينة البصرة بين الأزد وربيعة، وبنى تميم وقيس(٤٦) .

القسم الثانى : الذين لم يرتأوا الخروج ، وهم الأقلية ومنهم عبد الله بن أباض ، وعبد الله بن صفار ، ورجاله معهما على رأيهما(٤٧) .

وقد تبع الانقسام الأول انقسام فكرى وعقدى ، كان له أثره فى سلوك الحركات الخارجية من حيث التطرف والاعتدال فقد تبرأ نافع بن الأزرق من الذين تخلفوا عنه فى البصرة ، ولهذا كتب رسالة الى عبد الله بن صفار وعبد الله بن أباض ، ومن تخلف من الخوارج فى البصرة يدعوهم فيها الى وجوب الالتحاق به ، ووصف المسلمين من غير الخوارج بالشرك وجواز استعراضهم ، وعدم جواز مناكحتهم وموارثتهم ، وقد حفظ المبرد نص الكتاب الذى أثار الجدل والانقسام العقائدى بين المحكمة الأولى ، جاء فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ، والله انكم لتعلمون ان الشريعة واحدة والدين واحدٌ ففيم المقام بين أظهر الكفار ، ترون الظلم ليلا ونهارا وقد تدبكم الله الى الجهاد ، فقال : (وقاتلوا المشركين كافة) ، ولم يجعل لكم فى التخلف عذرا فى حال من الأحوال(٤٨) . وما أن وصل الكتاب حتى قرأه عبد الله بن

---

(٤٦) الرسل والملوك ٥/٥٦٧ .
(٤٧) المصدر السابق ص ٥/٥٦٨ .
(٤٨) المبرد ، الكامل ص ١١٧ .

صفار ، وأدرك ما تضمنته من أفكار متطرفة ، تثير الشقاق والانقسام اذ لم يقرأه على النـــاس خشية أن يتفرقوا ويختلفوا(٤٩) فوضعه خلفـــه .

فأثار ريبة واندهاش ابن اباض ، وجزعه على اخوانه ، وظنـــه انهم قد أصيبوا ، وأسروا ، الا ان ما ورد فى الرسالة قلب أفكـــاره رأســـا على عقب ومن اشفاق الى غلظـــة . ومن تولى ابن الأزرق الى التبري منه ، فقال عبد الله بن أباض ردا على الأفكار الواردة فى الرسالة آنفة الذكر : « قاتله الله أى رأى رأى صدق دافع بن الأزرق ، ولو كان القوم مشركين . كان اصوب الناس رأيا وحكما فيما يشير اليه ، وكانت سيرته كسيرة النبى صلى الله ليه وسلم فى المشركين ، ولكنه قد كذب وكذبنا فيما يقول : ان القوم كفار بالنعم والأحكام . وهم براء من الشرك ، وما سوى ذلك من أموالهم فهو علينا حرام »(٥٠) .

وقد أثارت أراؤه هذه انشقاقا جديدا بين القعدة من خـــوارج فى البصرة فقد تبرأ منه عبد الله بن صفار ، واتهم ابن أباض بالتقصـــير ودافع ابن الأزرق بالغلو وتبرأ منها ، وأيده فى ذلك أبو بيهس هيصم ابن جابر الضبعى الذى ذهب الى القول بجواز الاقامة بين المسلمين، ومناكحتهم وموارثتهم باعتبارهم منـــافقين ، لأنهم يظهرون الاســـلام وحكمهم عند الله حكم المشركين(٥١) ومن هنا تكونت الفرق الخارجية التى كفرت بعضها البعض الآخر ، كالصفرية ، والاباضية والبيهســـية والأزارقة . وقد كان الانشـــقاق والانقسام من بسط الأمـــور وأبرز الظواهر لدى الحركات الخارجية فى هذه الحقبة ، ولا يوجد هناك دليل

---

(٤٩) الرسل والملوك ٥/٥٦٨ .
(٥٠) المصدر السابق .
(٥١) المبرد . الكامل ص ١١٨ .

تاريخى • يثبت الرأى الذى طرحته الدكتورة سهير قلمـاوى ، بأن انقسامهم خطة مدبرة للهجوم على الدولة الأموية(٥٢) فلم يحدث مـا يشير الى وفـاق بينهم ، بل على العكس من ذلك رأينا القتـال بين الصفرية والأباضية فيما بعد(٥٣) •

أبو بلال مرداس وأثره فى الدعوة الاباضية :

هو أبو بلال مرداس بن عمرو بن حـدير التميمى يعتبر من أبرز أئمة المحكمة الأولى وكانت جميع الفرق الخارجية بعد انقسامها تعتبره من أئمتها(٥٤) الا أن الاباضية هى الفرقة الأكثر تأثيرا بسيرته • فقد عرف بالزهد والتقوى وحسن السيرة • وقد خرج فى عـام ٦١هـ على عبيد الله بن زياد بعد أن ضـيق كثيرا على خـوارج البصرة وأشـار اليسيوى الى ذلك بقوله : « وصارت الدولة فى أيدى الجبابرة ، حيث ما سمعوا بأحد من المسلمين قتلوه أو حبسوه عبيد الله وأشياعهم•• فلما كثر الجور واستخف بالاسـلام خرج عليهم المرداس بن حـدير فيمن اتبعه »(٥٥) وكان عدد الذين خرجوا معه أربعين رجـلا نزلوا قرية اسك فى الأهواز ولم يكن « يدعى هجرة ولا ينتحلها ولا يخيف آمنا ولا يستحيل استعراضا ••• ولا يغنـم أموالا ولا يسبى ذرية ولا ينزل قومه منزلة أهل الأوثان ••• »(٥٦) وهذه السلوكية طبعت الأباضية فى معاركهم ومعاملتهم لأهـل الخلاف من المسلمين ، وقـد

---

(٥٢) د• سهير قلماوى ، أدب الخوارج ، (مصر ١٩٤٥) ص ٣٥•

(٥٣) انظر الفصل الرابع من الرسالة •

(٥٤) الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٢١ أ •

(٥٥) البسيوى ، أبو الحسن على بن محمد • الحجـة على من أبطل السؤال فى الحدث الواقع بعمان • ورقة ١٠ •

(٥٦) الرقيشى • مصباح الظلام ، ورقة ٢ أ •

خالفتها الأزارقة وخاصة فيما يتعلق بالهجرة والاستعراض وتشريكهم للمسلمين • كما كان أبو بلال مرداس يؤمن بأخذ العطاء من السلطان الجابر ، فعندما مر به مال حمل لعبيد الله بن زيد أخذ منه اعطياته وأعطيات أصحابه ورد الباقى ، فطلب منه اصحابه اخذ المال كله ، فقال : انهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم»(٥٧) •

ومن آرائه كذلك انه يلقى الحجة فى الحرب على المخالف المسلم ولا يقاتل الا من قاتله(٥٨) • أى الدعوة أولا ثم الحرب ثانيا • وقد تركت سيرته هذه أثرا عميقا فى سلوك الاباضية ، خاصة فيما يتعلق بأخذ الاعطيات حيث ترد مثل هذه الأحكام فى الفقه الاباضى ، وتمثل انعكاسا لرأى أبى بلال مرداس(٥٩) ويمكن أن نلاحظ آراءه فى سلوك ابى حمزة المختار بن عوف اذ تركت ظلالها فى خطبة القاها فى الحجاز وفى مواقفه من اهل مكة والمدينة ومع الأمويين كذلك ، وقد قتل أبو بلال مرداس من قبل عبيد الله بن زياد عام ٦١هـ ، وقتله عباد بن الأخضر(٦٠) فى موقعة اسك المشهيرة لدى الخوارج(٦١) •

---

(٥٧) المبرد الكامل ، ص ٨٣ •

(٥٨) الدرجيلى ، طبقات الاباضية ١/ ورقة ٦ ب •

(٥٩) الشماخى ، السير ص ٩٠ •

(٦٠) الطبرى ، الرسل والملوك ٥/٤٧١ •

(٦١) قال الحموى ، وآسك « بلد من نواحى الاهواز قرب ارجان وكانت بها وقعة للخوارج » •• وفيها قيل شعر يعبر عن الصلابة والفداء فى سبيل العقيدة الذى كان سر انتصارات الخوارج على قلتهم على الجيوش الأموية وكانت هذه الواقعة نموذجا لبقية الوقائع وفيها قال الشاعر الخارجى :

الفا مؤمن فيما زعمتم ويقتلهم بآسك أربعونا

الحموى ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان مج ١ (طران : ١٩٦٥) ص ٦١ •

العلاقة بين عبد الله بن أباض والدولة الأموية :

لم تسعفنا النصوص التاريخية بمعلومات توضح العلاقة بين السلطة الزبيرية والاباضية أبان خضوع البصرة ، لابن الزبير (٦٧هـ — ٧١هـ) اذ كانت الاباضية فى بداية نشوئها وتبلور أفكارها، ويظهر أن التخفى ، والكتمان كان السمة المميزة لها ، ولم يكن يعنيها اقامة علاقات سياسية خلال هذه الحقبة ، غير انهم من وجهة نظر مبدئية لا يقرون مثل هذه الخلافة(٦٢) .

ويرى بعض المستشرقين ان الاباضية ربطت نفسها بعلاقة صداقة مع الزبيريين أيام مصعب وبعد اندحاره ساعدت بنى أمية .

على اننا نستطيع القول أن جميع الدراسات التى كتبت بهذا الشأن اعتمدت بالدرجة الأساسية على المعلومات التى وردت فى رسالة عبد الله بن اباض ، لعبد الملك بن مروان(٦٣) كما أن هذه الدراسات اتخذت من مسألة العطاء الذى يأخذه الاباضية من السلطان الجائر أساسا لاتهام قادتهم ، بصداقة الأمويين ، فقالوا بالعلاقة الودية بين عبد الله بن اباض وعبد الملك بن مروان والصداقة التى ربطت بين جابر بن زيد والحجاج بن يوسف الثقفى والى عهد الملك بن مروان على العراق ، اذ كان يعطى عطاء لجابر بن زيد فاستدل الدكتور دكسن عبد الأمير على حسن هذه العلاقة السياسية بدليل أن الفرقة الأباضية شهرت السيف بوجه خليفة عبد الله بن مروان عندما ترك هذه السياسة(٦٤) .

---

(٦٢) عبد السلام وجعفر بن أحمد ، اياقة المناهج فى نصيحة الخوارج ورقة ١٥٥ أ .

(٦٣) سيرة ابن اباض ، ورقة ١ — ١٠ — الجواهر المنتقاه ص ١٥٦ — ١٦٧ .

(٦٤) د. عبد الامير دكسن . الخلافة الأموية ٦٥ — ٨٦هـ/ ٦٨٤ — ٧٠٥م . بيروت ١٩٧٣ ص ٣٠٦ — ٣٠٧ .

وذهب الدكتور فاروق عمر الى القول : بأن عبد الملك بن مروان قد أفلح باقناع عبد الله أباض بسياسة (القعود) بل نجح فى اشغاله بأمور الفكر والعقيدة(٦٥) .

يستنتج من هذه الدراسات القول بأن عبد الملك بن مروان استطاع أن يتدخل فى توجيه نشاطات الاباضية لمصالحه السياسية .

والواقع أن المقدمات التى بنيت عليها هذه الأحكام يمكن رفضها للأسباب الآتيـــة :

فمن ناحية القعود علم أن الاباضية كانت تقول بالقعود قبل خلافة عبد الملك بن مروان عام ٦٥هـ ، وقد انقسم المحكمة الأولى حين أظهر نافع رأيه المتطرف فى أطفال المسلمين والقعدة من الخوارج عام ٦٤ للهجرة(٦٦) .

وهذا السلوك (القعود) يعود الى طبيعـــة الظروف التى قدرها قادة الدعوة ، فقد لازم القعود الدعوة الأباضية أبان خضوع البصرة لعبد الله بن الزبير ، واستمرت سياسة الكتمـــان حتى خلفـــه مروان الثانى عام ١٢٩/٤٧٦م . ولم تشر المصـــادر الأباضية أو غيرهـــا من المصادر الأخرى الى اشهار السيف بوجه خليفة عبد الملك بن مـــروان لأنه غير سياسته تجاه الدعوة الأباضية(٦٧) .

وسنرى أن القعود كان ايجابيا على ضوء النتائج السياسية التى حصلت عليها الدعوة الأباضية فيما لو قورنت بالحركات الخارجية التى

---

(٦٥) د. عمر ، فاروق مجلة المؤرخ العربى ، العدد الثانى ١٩٧٥ ملامح من تاريخ حركة الخوارج الاباضية ص ١٧٢ .

(٦٦) المبرد ، الكامل ص ١١٢ ــ الرسل والملوك ٥/٥٦٧ .

(٦٧) د. عبد . الأمير دكسن ، الخلافة الأموية ص ٣٠٧ .

عدد من الدعاة حتى وفاة الحجاج بن يوسف الثقفى عام ٩٥هـ/٧١٣م، وبعدها أطلق سراحهم(٧٢) ، كل هذا جرى فى مرحلة الكتمان •

وعلى هذا يمكن القول أن سياسة التعهد لازمت الأباضية حتى بعد وفاة عبد الملك ، ودخل له بهذه السياسة ، كما أن العطاء لا يقيم دليلا على حسن سلوك الأباضية وعلاقتهم الودية بالسلطة الأموية •

ان دراسة رسالة عبد الله بن أباض لعبد الملك بن مروان دراسة فاحصة(٧٣) ، تظهر أن المضامين التى احتوتها الرسالة لا يفهم منها وجود علاقة ودية أو حتى الرضى عن المنهج الذى اتبعه عبد الملك • ويمكن ملاحظة عدة أمور احتوتها الرسالة ، كالهجوم على البيت الأموى واتهامه بكل أنواع الظلم والخروج على الشريعة اعتبارا من الخليفة عثمان ومعاوية ابن أبى سفيان وابنه يزيد الذى وصفه بالفسق وشرب الخمرة ، وتفنيد آراء عبد الملك فيما يخص الخليفة عثمان ، وتعديد مثالب معاوية ويزيد ووصفهم بالفسق والكفر واللعنة(٧٤)، ويظهر البراءة منهم اذ يقول : « فاتق الله يا عبد الملك ، ولا تخادع نفسك فى معاوية •• فمن يتولى عثمان ، ومن معه فانى أشهد الله وملائكته انى منهم برىء ، أعداء لهم بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا تعيش على ذلك ونموت عليه اذا متنا ونبعث عليه اذا بعثنا ، ونحاسب بذلك عند الله »(٧٥) •

---

(٧٢) المصدر السابق ١/ ورقة ، ١٠٦ أ •

(٧٣) السير المعمادية ، سيرة عبد الله بن اباضى ورقة ١ •

البرادى ، الجواهر والمنتقاه ، ص ١٥٦ ـ ١٦٧ ـ كشف الغمة ورقة ١٩٩ ب ٢٠٧ أ •

(٧٤) سيرة ابن اباضى ، ورقة ٧ الجواهر المنتقاه ص ١٦٤ • كشف الغمة ٢٠٥ أ ـ ٢٠٥ ب •

(٧٥) الجواهر المنتقاه ، ص ١٦٤ •

اتسمت بالعنف والتى قادهـا الأزارقة ومن سبقهم من الخـوارج ، فالقعود اذن لا يعنى بأى حال أن العلاقة كانت ودية بين الأباضـية والسلطة الأموية آنذاك .

أما من ناحية العطاء ، فالأباضية تقر أخذ العطاء من السـلطان الجائر وترى ذلك حقا من حقوقها الشرعية ، لذا من الصـعوبة بمكان الحكم على قائد من قواد الدعوة الأباضـية بأنه استكان للأمويين ، وأصبحت علاقته وديـع مع الحجاج بن يوسف الثقفى ، لأنه يستلم منه عطـاء(٦٨) .

وتشير بعض الروايات أن النسوة الأباضية رفضن أخذ العطـاء من الوالى الأموى بعد وفاة جابر بن زيد ، فقلن انه حرام ، فنهاهن أبو حمزة الأشعث أحد مشايخ الأباضية ، وأعظم ذلك عليهن وقال : اما اذا زعمتن ذلك فانكن تقدمن على جابر بن زيد وأبى بلال وأصحابه، فانهم ماتوا وهم يأخذون اعطيتهم : قال وبلغ ذلك ضمانا فاشـتد فى ذلك ، وعظم عليه قولهن قال فرجعن واستغفرن الله ولم يعـدن الى ذكر شىء من ذلك »(٦٩) .

ومن ناحية ثالثة تجمع النصـوص التاريخية عن الرواية الأباضى المعروف أبى سفيان محبوب بن الرحيل : ان الحجاج يوسف قام بنفى جابربن زيد الى عمان مع أحد المشاريخ الأباضية المسمى هبيرة(٧٠) . كما رفض جابر بن زيد تقلد منصب القضاء فى البصرة حين عـرض عليه الحجاج ذلك(٧١) وسجن أبو عبيـدة مسلم بن أبى كريمـة من

---

(٦٨) الدرجيلى ، طبقات الاباضية ١/ورقة ٩١ ب ، « الشـماخى السـير » ص ٩٠ .

(٦٩) الشماخى ، السير ص ٨٣ .

(٧٠) المصدر السابق ص ٨٧ .

(٧١) الدرجينى ، طبقات الاباضية : ورقة ٩٢ ب .

ولا يعرف عبد الله بن أباض فى الرسالة لعبد الملك بن مروان بأمره المؤمنين أو الخلافة بل أخاطبه فى عدة موارد الاسم المجرد يا عبد الملك(٧٦) .

والأذكى من ذلك عبد الملك حين اتهم ابن أباض بالغلو — كما يظهر من الرسالة — رد ابن اباض عليه مفسرا معنى الغلو بقوله :

« والغلو فى الدين ان يقال على الله غير الحق ، ويعمل بغير كتاب الله الذى قال « يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ، ولا تقولوا على الله الا الحق »(٧٧) ، كما أن عثمان والأئمة من بعده ، وأنت بعد على سبيلهم وطاعتهم تجامعهم على معصية الله ، وتتبعهم ، وقد اتبعوا أهواءهم ، واتبعتهم أنت عليها ، وقال الله عز وجل : « ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل، فهؤلاء أهل الغلو فى الدين »(٧٨) .

وواضح من هذا النص اتهامه لعبد الملك بالمعصية والضلالة ، وهذا الاتهام لا يمكن بأى حال أن يفهم منه العلاقة الودية بين عبد الملك وعبد الله بن اباض . ولكن هذا الخط المستدل ، ومنهم عبد الله بن أباض . ولكن هذا الخط المستدل ، ومنهم عبد الله بن أباض ، عرفوا بالقاء الحجة على المخالف حتى فى القتال ، كما هو واضح من الرسالة ان عبد الله بن أباض أراد أن يعرض مبادىء فرقته على عبد الملك بن مروان ، وقد افاد ذلك عبد الملك بن مروان فى تحديد موقفه من هذه الجماعة ، وأغلب الظن ان عبد الملك بن مروان أراد برسالته ان

---

(٧٦) سيرة ابن اباضى ورقة ١و٣و٧ الجواهر المنتقاه ف ١٥٦،١٥٨

(٧٧) المصدر السابق ، ورقة ٧ ـ الجواهر المنتقاه ص ١٦٤ .

(٧٨) سيرة ابن اباضى ، ورقة ٧ ـ المنتقاه ص ١٦٤ كشف الغمة ٢٠٥ ب .

يستوضح أفكار هذه الفرقة ، الجديدة المعتدلة فى آرائها ، اذ يظهر ابن أباض رأيه فى الأزارقة والبراءة منهم :

« أنا براء الى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه(٧٩) ، وقد استفاد عبد الملك من موقف الأباضية هذا فى فترة ازدحمت بالأحداث والاضطرابات الخارجية التى هددت مدينة البصرة ، وأقاليم الخليج العربى الغربية اضافة الى كرمان وفارس ، والأهواز ، وغيرها من الولايات الشرقية التى كانت مسرحا للازارقة من عام ٦٤هـ حتى سنة ٧٨ هـ »(٨٠) .

وفى اليمامه كان نجدة بن عامر الحنفى ، الذى شمل نطاق نشاطه اضافة الى اليمامة حضرموت وأجزاء من اليمن والبحرين والطائف وعمان(٨١) .

هذا الموقف المعتدل من قبل الأباضية فى أثناء هذه الاضطرابات العنيفة من قبل الحركات الخارجية ، دفع بعض المؤرخين الى القول بالعلاقة الودية بين الأباضية والأمويين ، وكان من مصلحة عبد الملك أن لا يثير له متاعب جديدة ، ومن مصلحته السياسية كذلك قعود الأباضية ، على أن ذلك لا يمثل بأى حال موقف الأباضية السياسى

---

(٧٩) الجواهر المنتقاه ، ص ١٦٥ ورد النص أعلاه فى سيرة ابن اباض بالشكل الآتى : « أنا برىء الى الله ومن ابن الاروق واتباعه » ورقة ٨ .

(٨٠) الدجيلى ، محمد رضا حسن ، فرقة الازارقة ، (بغداد ، ١٩٧٣) ، ص ١٢٩ .

(٨١) د. دكسن ، عبد الأمير ، الخلافة الأموية ، ص ١٧٧ .

من حاكم ، غير شرعى بالنسبة الى معتقداتهم حيث اتهمه عبد الله بن أباض بالمعصية والضلالة(٨٢) •

ويظهر من النصوص التى جاءت فى الرسالة أن هناك اشارة من عبد الملك باغراءات دنيوية لا نعلم كنهها وحقيقتها ، قوبلت بالرفض من قبل عبد الله بن أباض ، ولا تعرض بالدنيا وليست من حاجتى ، ولكن لتكون نصيحتك لى فى الدين ولما بعد الموت فان ذلك أفضل النصيحة »(٨٣) •

وصفوة القول أن سياسة الدعوة الاباضية اتسمت بالقعود والكتمان ، اذ كانت الأباضية فى بداية نشوئها ، وقد استفادت الدولة الأموية بصورة غير مباشرة من هذه السياسة فى هذه الحقبة نفسها • الا أن هذا القعود والكتمان لم يكن يعنى بأية حال من الأحوال العلاقة الودية بين السلطة الأموية والأباضية •

النشاط السرى للدعوة الأباضية :

ان كتب السيرة الأباضية تحوى روايات متفرقة عن حياة الدعاة الأباضية وكذلك عن طبيعة التنظيمات وأساليبها(٨٤) • ومما يوثق هذه المعلومات ، ويقيم الدليل على صحتها ، ان الراوية أبا سفيان محبوب بن الرحيل ، كان قد عاصر هذه التنظيمات ، وقد وصلتنا رواياته فى مجموعة من المصادر الأباضية المختلفة(٨٥) •

---

(٨٢) الحضرمى ، أبو اسحاق ، ابراهيم بن قيس ، مختصر الخصاب. باب ذكر ما تم به الولاية ، ورقة ٧٠ ب.

(٨٤) انظر ، الدرجينى ، طبقات الاباضية ــ الورجلانى :أبوزكريا يحيى بن أبى بكر ، السيرة وأخبار الأمة ، الشماخى السير •

(٨٥) الدرجينى ، طبقات الاباضية ورقة ١٠٣ ــ ١١٦ ب على سبيل =

أما رسالة ابن عبيدة مسلم بن أبى كريمة • لدعـاة المغرب فهى تمثل العلاقة التنظيمية والصلة الوثيقة بين الدعاة الأباضـية فى المشرق والمغـرب •

وتقيم الدليل على سرية العمـل فى مدينة البصرة مركز الدعـوة الام للتنظيم الأباضى لاسيما وانها وردت فى مدونة أبى غانم بشر بن غانم الخرسانى أحدهم أقدم المصادر فى الفقه الأباضى ، وهذه الوثيقة تقيم دليلا على استمرار التنظيم الأباضى حتى مطلع العقد الرابـع من القرن الهجرى أبان قيادة ابى عبيدة مسلم الدعوة الاباضية(٨٦) •

وهناك نصوص متضافرة تتكلم بوضوح على المجالس السرية فى الدعوة الاباضية ، وقد انعكست الظـروف التى مرت بها الدعـوة فى مراحلها الأولى أبان التنظيـم السرى (الكتمان) ، فى كتب الفقـه الأباضى ويمكننا أن نقول ان كتب الفقه الاباضى جارت الواقع السياسى الذى عاشته الدعوة • فللزكاة ــ على سبيل المثال ــ أحكامها فى حالة الكتمان والظهور من حيث جمعها وتوزيعها(٨٧) • والامامة لها أحكامها أيضا فى مثل هذه الحالات(٨٨) •

=

المثال ، البرادى ، رسالة البرادى فى الاشارة الى الكتب المشرقيةوالمغربية ورقم ٢٠٦ ب ــ الشماخى السـير ص ٨٠ ــ ١١٩ ــ الحيطـالى ، اسماعيل بن موسى ، قناطر الخيرات ق ١ (القاهرة ١٩٦٥) ص ٢٨٨ ــ ٢٨٩ •

(٨٦) الخرســانى ، أبو غانم بشر بن غانم ، رسـالة فى الزكاة لأبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، ضمن مدونته الصغرى ورقة ١١٣،١١٤

(٨٧) الحيطالى ، شرح قواعد الاسلام ورقة ١٣٧ أ ــ ١٣٩ أ ، بحث فى الزكاة فى حالة الظهور والكتمان •

(٨٨) الحضرمى ، أبو اسحاق ، ابراهيم بن قيس ، مختصر الخصال، ورقة ٧ ب •

فالكتمان(٨٩) بحاجة الى طريقة أو اسلوب فى العمل وخاصة بالنسبة الى جماعة لها أهداف ونظرات فى السياسة والتحكم • ويمكن تعريف الكتمان لدى هذه الدعوة بأنه يمثل أدنى مراحل الضعف ، وبسبب هذا الضعف تلجأ الدعوة الى الكتمان لبناء نفسها والاستعداد للظهور•ولذا سنحاول أن نكون صورة واضحة المعالم النشاط السرى، الدعوة الأباضية فى مدينة البصرة •

بداية التنظيمات السرية فى البصرة :

لا نعلم متى بدأ التنظيم السرى للدعوة الأباضية وتشير بعض النصوص الى بدايته على عهد الامام جابر زيد (٢١ ــ ٩٣) ولا تتطرق المصادر المتوفرة لدينا عن أى دور يذكر لعبد الله بن أباض فى النشاط السرى للدعوة الأباضية(٩٠) • وبهذا يكون الامام جابر ابن زيد واضعا للأسس التنظيمية الأولى الدعوة ، ومن المحتمل أن الجماعة المعتدلة من المحكمة الأولى لجات الى هذا الاسلوب نتيجة لحملات الابادة التى تعرض لها الخوارج فى البصرة فى عهد زياد بن أبيه وابنه عبيد الله ، لاسيما وان هذه الحملة شملت من كان يدين بالاستعراض(٩١)،ومن كانت سمته الاعتدال : كأبى بلال مرداس(٩٢)،

---

(٨٩) أبو حفص ، عمر بن جميع الاباضى : شرح مقدمة التوحيد : ورقة ١٦ ب قال فى الكتمان انه : « أحد مسالك الدين الأربعة ، وهو سلوك طريق الظهور » •

(٩٠) الشماخى والسير ص١٠٨ • ولد جابر لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب •• الشماخى ، شرح مقدمة التوحيد ورقم ١٦ ب •

(٩١) الاستعراض : مصطلح تاريخى اقترن بالفرق المتطرفة من الخوارج ودانت به الازارقة بصورة خاصة • المبرد الكامل ص ١١٧ •

(٩٢) المصدر السابق ص ٥٢ •

يقول الرقيش « وقد بلغنا أن أبا مرداس ابن حدير رحمه الله وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون الا بأمر امامهم جابر بن زيد العمانى .. ومشورته ويحبون ستره عن الحرب لئلا تموت دعوتهم ليكون رداءهم»ومن هذا النص يتضح أن رأس الدعوة فى عهد عبيد الله ابن زياد جابر بن زيد ومما زاد الجماعة المعتدلة من المحكمة قناعة باتباع هذا الطريق فشل الكثير من الحركات الخارجية المتطرفة فى اتباع اسلوب العنف الذى اتبعه الأزارقة وغيرهم(٩٣) .

ومما يؤكد أن جابر بن زيد كان المسئول عن التنظيم السرى الأباضى النص الذى رواه أبو سفيان عندما اعتقل أحد مشايخ الدعوة الأباضية المسمى أبو سفيان قنبر « وكان شيخا كبيرا أخذ وجلد أربعمائة سوط على ان يدل على أحد من المسلمين فلم يفعل . قال جابر ابن زيد وكنت قريبا منه ، وما كنت انتظر الا أن يقول هذا هو فعصمه الله »(٩٤) ، ومن المعلوم أن جابر بن زيد كان من الشخصيات العلمية البارزة أنذاك ليس لدى الاباضية فقط بل لدى عامة المسلمين وعلمائهم خاصة ، فقد ترجم له خليفة بن خياط فى كتاب الطبقات ، باعتباره أحد أئمة الحديث ، يقول عنه « وجابر بن زيد من اليحمد » ولم يشر الى مذهبه(٩٥) ، وقال الرازى فى الجرح والتعديل : « أبو العشاء الأزدى اليحمدى ، روى الحديث عن ابن عباس والحكم ابن عمرو وان عمرو روى عنه عمرو بن دينار ، فهو من أئمة الحديث الموثقين لديه ، وقال أبو زرعة عن جابر بصرى أزدى ثقة الا انه يورد رواية عن جابر بن زيد حين سأل عن انتحال الأباضية له ، فقال أبرأ

---

(٩٣) الدجيل ، محمد رضا ، فرقة الازارقة ، رسالة ماجستير (بغداد ، ١٩٧٣) .

(٩٤) الشماخى ، السير ، ص ٩٣ .

(٩٥) ابن خياط ، كتاب الطبقات ، ص ٢١٠ .

الى الله من ذلك(٩٦) ، وليس من المعقول أن يقول جابر انا امامهم لسائله ، وقال عنه البستى : « من علماء التابعين بالقرآن وفقهاء البصرة فى الدين »(٩٧) •

أما الشهرستانى فقد عده من علماء الخوارج المتقدمين(٩٨) ومن هذا العرض تظهر المكانة الاجتماعية والعلمية ، التى يتمتع بها جابر بن زيد آنذاك غير خافية على أحد ، ولم تكن شخصيته مغمورة لدى الأمة ، فالنص الذى أورده الشماخى ، يدل بلاشك على ان جابر ابن زيد هو المسئول عن تنظيمهم آنذاك ، وما كنت انتظر الا ان يقول هذا هو فعصمه الله »(٩٩) ، أى أن جابر بن زيد كان ينتظر من أبى سليمان قنبر أن يقول : جابر بن زيد امامنا ورأس أمرنا الا أن صلابة أبى سفيان قنبر حالت دون انكشاف أمره ، ولقد كان للصلابة التى ابداها الدعاة الاباضية فى مواجهة السلطة الأموية ، والحيطة والحذر وبث العيون حول مجالسهم ، قد مكن التنظيم الأباضى من النمو والاتساع • ولم تستطع السلطة الأموية فى البصرة أن تضع يدها على أى مجلس من مجالسهم السرية ، قنال أبو سفيان محبوب ابن الرحيل : « وما بلغنا أنهم ظفر بهم فى مجلس قط الا انهم كانوا ،

---

(٩٦) الرازى ، أبو محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم محمد بن ادريس ، كتاب الجرح والتعديل ، مج ١ ق (حيدر آباد) ١٩٥٢) ص ٩٤ ــ ٤٩٥ •

(٩٧) البستنى : محمد بن حيان ــ كتاب مشاهير علماء الامصار (القاهرة ، ١٩٥٩) ص ١٨٩ •

ابن العراق نعمان بن محمد ، معادن الجوهر بتاريخ البصرة والجزائر ، (اسلام آباد ، ١٩٧٣) ص ٤٢ •

(٩٨) الشهرستانى ، الملل والنحل ، القاهرة ١٩٦١ ص ١٣٧ •

(٩٩) الشماخى ص ٧٧ •

ذات مرة فى عهد زياد وابنه اتاهم الخبر بأن الخيل تريدهم فخرجوا مسرعين وتركوا نعالهم على باب البيت الذى كانوا فيه ، فجاء الشرط فنظروا الى النعال ، فقالوا للعجوز صاحبة البيت : ما هذه النعال فقالت : مكاتب لنا يسأل الناس فيعطى النعال وغيرها ، قالوا بالله ما ذلك كما ذكرته ، فان هذا موضع ريبة قال ، فقال بعضهم : قد ذكرت العجوز ما ذكرت ، فلا تعرضوها للبلاء فلعلها أن تكون صادقة ، قال : فعافاها الله منهم »(١٠٠) • ويتضح هنا أن لهذه المجالس رقباء وعيون تحرسها ، ولذا خرجوا قبل مداهمة الشرطة لهم •

وزيادة فى التستر والكتمان ، فقد كان حضورهم الى المجالس السرية وخاصة فى عهد زياد بن أبيه وابنه عبيد الله فقد ابتكروا طرقا جديدة فى التستر والتنكير ، فكانوا « يأتون المجالس أيام زياد بن أبيه وابنه فى هيئة النساء فى النقاب وغير ذلك يتشبهون بالنساء •• وكان أحدهم ليحمل على ظهره جرة بماء ويحمل حلة متاع كأنه بياع حتى يدخل المجالس »(١٠١) ، ويظهر هذا النص المدى البعيد ، الذى اتبعه الدعاة الأباضية للتستر على مجالسهم ويعكس فى نفس الوقت الظروف القاسية والبطش الشديد ، الذى ألجأهم الى التنكر بهذه الصورة للحفاظ على دعوتهم بعيدا عن أعين الرقباء •

وقد ساهم الامام الاباضى جابر بن زيد فى أحكام التنظيم الأباضى ففى نص فقهى مدعم بدليل تاريخى يشير الى سرية التنظيم ودور جابر بن زيد ، فقد سلط الضوء على جانب مهم من الجوانب السرية الكتمان وهذا الجانب يتمثل فى موقف زعماء الدعوة الأباضية من الخارج عن التنظيم الأباضى ، فلو خرج هذا الخارج من الدعوة

---

(١٠٠) الدرجينى ، طبقات الاباضية ١/ ورقة ١٠٧ أ •

(١٠١) الدرجينى ، طبقات الاباضية ، ١/ ورقة ١٠٧ أ الشماخى، السير ص ١٠٨ •

الأباضية ولم يطعن فيهم ، ويدل على عوراتهم تركوه وشأنه ولكن يوجبون بغضه وعداوته « وان خرج من مذهب المسلمين وخالفهم وطعن فى مذهبهم وعاب منهم فقد حل قتله واغتياله بأى سبب وصلوا الى هلاكه وقتله كما فعل الامام الصالح جابر بن زيد رحمه الله حين سأل عن أفضل الجهاد ، فقال للسائل افضل الجهاد قتل خردلة»(١٠٢) فأخذ أحد الغلمان الأباضية خنجرا مع رجل منهم ، فدله على خردلة فقتله فى المسجد ، وقال الجيطالى شارحا لهذا النص : « وكان خردلة هذا فيما وجدت من أهل هذه الدعوة ، ثم خرج عنها وتركها ، فجعل يطعن على المسلمين ويدل على عوراتهم فلذلك استحل جابر قتله »(١٠٣) .

واذا قارنا هذا النص بنصوص أخرى فيما يتعلق بموقف الأباضية من القتل يمكن توضيح هذا النص ، ذلك أن الأباضية لا تستحل دماء مخالفيهم من المسلمين الا فى حالة الحرب ، وبعد القاء الحجة على المخالف ، وتحل الدماء بالظلم والابتداء به »(١٠٤) ولهذا فمقتل خردلة له معناه السياسى ، لأنه شكل خطرا على حياة الدعوة وهو افشاء أسرارها فكان قتله أفضل الجهاد فى تلك الحقبة العصيبة من حياة الأباضية .

ويظهر أن النشاط الأباضى بدأ يشكل خطرا على سلطة الحجاج ابن يوسف الثقفى ، فى عهد الامام جابر بن زيد ، لذا عمد الحجاج

---

(١٠٢) الجيطالى ، شرح قواعد الاسلام ، ورقة ٢٥ ب ، ٢٦ أ .

(١٠٣) خردلة . اسم لشخص دخل فى تنظيم الاباضية وخرج منهم وأفشى أسرارهم لهذا استحلوا قتله .

(١٠٤) الجيطالى ، شرح قواعد الاسلام ورقة ٢٦ أ .

الى نفيه الى عمان مع أحد مشايخ الدعوة المسمى هبيرة(١٠٥) • وقد استفادت الدعوة الأباضية بصورة غير مباشرة من نفى جابر الى عمان حيث بذرت بذورها الأولى هناك(١٠٦) وقد قام الحجـــاج بن يوسف باعتقال جـــابر وحبسه فحين ســـأله عن الخنث كيف يـــورث « فقال تحسبونى وتستفتونى »(١٠٧) •

ويظهر أن العلاقة بين الحجاج وجابر قبل حبسه ونفيه الى عمان اتسمت بالود • وكان لكاتب الحجاج يزيد بن أبى مسلم دور كبير فى تحسين هذه العلاقة ، لأنه يرى رأى الخـــوارج(١٠٨) ويحتمـــل أنه كان يعون من أمر الأباضية اديه ، وقد التقى الحجاج بن يوسف بجابر بواسطة يزيد بن أبى مسلم ، ولما كانت لجابر شخصية علمية بارزة فقد عرض عليه الحجاج أن يشغل منصب القضاء ، قال لاينبغى أن تؤثر بك أحد تجعلك قاضيا للمسلمين (١٠٩) •

وقد رفض جابر بن زيد هذا العرض ، تظاهرا بضعف الشخصية والكفاءة وقال الحجاج : « يقع بين المرأة وخادمها شر فلا أحسن ان اصلح بينهما » •

ويبدو من جوابه أنه أراد ان يظهر للحجاج عكس ما يبطن من شخصيته •

---

(١٠٥) البسيوى ، أبو الحسن على بن محمد العمانى ، مختصر البسيوى ، (زنجبار ١٣٠٤هـ) ص ٨ •

(١٠٦) وهبيرة هو جد الرواية لهذه الأخبار ، أبو سفيان محبوب ابن الرحيل بن هبيرة بن سيف من قريش • الرقيشى مصباح الظلام٢٢ أ

(١٠٧) الدرجينى ، الطبقات ، ١/ورقة ١١٩ أ •

(١٠٨) المصدر السابق ، ١/ ورقة ٩٣ ب •

(١٠٩) المبرد ، الكامل ، ص ٥٢ •

وعندما طالب جابر بن زيد بعطائه المقطوع عنه ، قال له الحجاج : « هذا لا يستقيم أن نعطيك من بيت مال المسلمين ولا نستعملك لهم » (١١٠) .

وقد اقترح يزيد بن أبى مسلم على الحجاج كمقابل ذلك ، أن يعمل جابر فى (ديوان المعاملة) فى البصرة ، وقد كتب يزيد بن أبى مسلم لصاحب ديوان البصرة أن لا يكلف الشيخ مؤودة العمل ويعطيه عطاءه كاملا ، وكان عطاؤه سبعمائة درهم أو ستمائة درهم (١١١) .

ومن هذا العرض واستقرائنا للنصوص السابقة ، يتضح لنا الدور الكبير الذى قام به جابر بن زيد فى مرحلة الكتمان انه المؤسس للنظام السرى فى الدعوة الاباضية فى البصرة فى العقد السادس من القرن الأول الهجرى (١١٢) وليس كما رجح الدكتور محمود اسماعيل : بأن التنظيم الاباضى بدأ فى العقد الأخير من القرن الأول الهجرى (١١٣) ، لأن جابر بن زيد توفى فى مطلع العقد الأخير من القرن الأول (عام ٩٣ للهجرة (١١٤)) وقبل سنة ٥٦ للهجرة (١١٥) .

---

(١١٠) الشماخى ، السير ، ص ٧٤ .

(١١١) الدرجينى ، طبقات الاباضية ، ١/ ورقة ٩٢ب .

(١١٢) الدرجينى طبقات الاباضية ١/ ورقة ١٠٧ أ – الشماخى، السير ص ١٠٨ .

(١١٣) د. اسماعيل ، محمود ، الحركات السرية فى الاسلام (القاهرة ، ١٩٧٣) ص ٣٢ .

(١١٤) العصفرى ، خليفة بن خياط ، الطبقات (بغداد ١٩٦٧) ص ٢١٠ . الرازى ، أبو محمد عبد الرحمن محمد ، كتاب الجراح والتعديل جـ ١ ق ١ (حيدر آباد ، ١٩٥٢) ص ٤٩٤ .

(١١٥) الشماخى ، شرح مقدمة التوحيد ورقة التوحيد ورقة ١٦ب- ١٧ أ .

ازدهار التنظيمات الاباضية :

بلغ التنظيم الاباضى أوج نشاطه حين تبلورت تنظيماته على يد أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة الداهية السياسى ، الذى يعتبر واحدا من الشخصيات اللامعة فى مجال التنظيمات السرية ، فى تلك الحقبة من تاريخ الأمة الاسلامية ويدل على ذلك لقبه الذى يعرف به قال الشماخى عنه : « وهو مولى لبنى تميم قيـــل أنه أعور يعرف بالقفاف وامتحن واذاه الحجاج بالسجن » (١١٦) ، وقد أصبح القفاف من أبرز القابه ، وأصله أن ابا عبيدة كان يتظاهر بعمل القفاف عند تدريبه للدعاة الاباضية حينما يلمح عيون السلطة الأموية أو العباسية .

ورغم المحن التى مر بها أبو عبيدة مسلم ، فقد برهنت هذه المحن على صلابته وصدق ايمانه بدعوته ، وعدم انكشاف أمره ، فعندمـــا تعرض الحجاج بن يوسف الثقفى هو واحد مشايخ الدعوة المســـمى ضمام بن السائب السجن مدة طـــويلة استمرت حتى وفاة الحجاج بن يوسف الثقفى فى شوال عام ٩٥/٧١٣ م ، ولم يكشف أمرهمـــا رغم العذاب ، وظروف السجن السيئة ، وليست لدينا معلومات فيما اذا كان هناك توافق بين نفى جابر بن زيد الى عمان وسجن أبى عبيدة وضمام ويبدو أن الحجاج قد أدرك خطورة تأثيرهم فعمد الى هذه الاجراءات للحد من نشاطهم .

وقد برزت فى هذه الحقبة بمجموعة من المشايخ الأباضية،على قدر كبير من الذكاء بأمور السياسة ، والحرب معا ، وظهر تأثيرهم واضحـــا فى تقدم نشاط الدعوة وأساليبها .

وقد ظهر بشكل خاص من الشخصيات البارزة فى ميدان التنظيم السياسى شخصية فذة الى جانب أبى عبيدة مسلم ، وهى شخصـــية

---

(١١٦) الشماخى ، شرح مقدمة التوحيد ، ورقة ١٦ ب .

حاجب أبى مودود الطائى(١١٧) ، وتظهـر كفاءته فى حل المشاكل التى كانت تحدث فى الدعوة أو مراقبة مجالس الدعاة والحفاظ عليها ، بشكل لا يسترعى انتباه السلطة الأموية ، فقد أرسل الى أحد الدعاة النشطين الذين كانت تعقد المجالس فى بيوتهم ملاحظتين يؤاخذ عليهما الأولى : كثرة الجماعة التى يضمها المجلس وهذا مناف للسرية ، والثـانية : أن الجيران تسمع كلامهم وهذا الأمر يشى بهم لدى السلطة ، فأرسل اليه محذرا فقال له : «ارفق على نفسك يا عبد الملك ما هذا الذى بلغنى أنكم تفعلوا ، قال : انا لنفعل وان أمرتنا أن لا نفعل تركنا » (١١٨) ، ويتضح من هذا النص استجابة الدعاة لمشايخ الدعوة الأباضية .

وقد بين حاجب الأسباب الموجبة لهذا الحذر ، فى النشاط السرى بأنه الأساس فى الاستمرار ، وبقاء الدعوة الأباضية ، ولو كان الخوف ظلا ملازما لحياتهم ، أما الشجاعة والظهور أمام عدو متسـلط يمكنه تخريب الدعوة فيما لو اطلع على أسرارها ، فسكت ـ أى الحاجب ـ طويلا فقال لئن تخافون وتعمـرون ، لأحب الى من أن لا تخـافون وتخربون ، اعمـروا مجالسكم فالله يحفظكم(١١٩) ، وكان حاجب هذا يلقن الدعاة أساليب المخاطبة « فيما يود به فيه »(١٢٠) ، ويظهر هذا

---

(١١٧) الدجينى ، طبقـات الاباضـية ١/ ورقة ١٠٦ أ وقال عنه الازكوى هو أبو مودود جيب بن حفص بن حاجب ـ كشف الغمة ، ورقة ٣٨٩ ب .

(١١٨) الدرجينى طبقات الاباضية ، ١٠٧/١ أ . الشماخى ، السير ص ١٠٧ .

(١١٩) السير ص ١٠٧ ورد النص مضـطربا فى طبقات الاباضية « لأن تكونوا تخربون فتعمـرون خير من لا تخـافون وتخربون » ، ١ ورقة ١٠٧ أ ويظهر أن الشماخى صحح النص . وأثبته بالشكل أعلاه ، أو اعتمد على مصدر آخر والاحتمال الأول أقوى .

(١٢٠) الشماخى ، السير ، ص ١٠٨ .

واضحا فى تعاليمه لعبد الملك الطويل ، لكى يميز بين الأشخاص الذين يمكن أن يستفيد منهم الدعاة الاباضية ، بعد موعظتهم ، وأولئك الذين لا رجاء فيهم ممن يشغبون ، ويعيبون فيجب على الدعاة فيما لو توفرت هذه الصفات فى شخص ما طرده من مجالسهم وشهره ونبذه ليكون الدعاة منه على حذر(١٢١) ، وبالاضافة الى ادراكه الأساليب الاجتماعية فقد برز فى التنظيم السرى والاعداد .

ففى الوقت الذى ظهر فيه ضعف الدولة الأموية ، وتدهورها فى أواخر عهدها ، بدأ الدعاة الاباضية شأنهم شأن حركات المعارضة الأخرى يتهيأون لدخول المعترك السلمى ، فقد كان أبو مودود حاجب والمشايخ الاباضية يخططون لمواجهة الظروف الجديدة .

وكان لمشايخ الدعوة الاباضية مجالسهم الخاصة ، والتى يقتصر حضورهم فيما دون غيرهم « بلغنا ذات ليلة أن فى منزل حاجب مجلسا — قال أبو سفيان — وكان المشايخ لا يدعوننا أن نحضر معهم المجالس بالليل فقلت لرجل من أهل عمان انطلق بنا الى منزل حاجب فلعلهم يأذنون لنا(١٢٢) وكان أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى الذى استولى على الحجاز عام ١٢٩/٧٤٦ م ممن يحضرون هذه المجالس مع زميله فى معارك الحجاز بلج بن الأزدى فأذن لنا فوجدنا المختار بن عوف ورجلين أو ثلاثة من المشايخ فقالوا لنا حاجب أخيرا بلج بن عقبة وأخبراه بمكاننا (١٢٣) » ولعل مثل هذه المجالس كانت تعقد للتنظيم والاعداد للحركة الاباضية فى اليمن عام ١٢٩ هـ ، لا سيما ان أبا حمزة وبلج بن

(١٢١) الدرجينى ، طبقات الاباضية ، ١/ ورقة ١٠٨ ب .
(١٢٢) الشماخى ، السير ، ص ٩١ .
(١٢٣) الدرجينى ، طبقات الاباضية ١ ١/ ورقة ١٠٧ أ — الشماخى السير ص ٩١ .

عقبة من روادها ومن جهة أخرى على ما تقول الرواية الاباضية : ان حاجب وهو قائم بأمور المسلمين فى مثل هذه الأشياء من أمر الحرب ، وجمع الأموال والمعونة والخصومة والى أبى عبيدة يسند أمر الدين والفتاوى (١٢٤) ، فهى على الأغلب لمناقشة الأمور السياسية المهمة ، بدليل أن حاجبا رد شعيب بن عمر الذى يرتبط معه برابطة المصاهرة وأبى ادخاله ، مع أنه كان من أفضل فتيان الدعوة وكان بينه وبين منول حاجب نحو ثلاثة أميال (١٢٥) .

يتضح من ذلك مدى دقة التنظيم السرى للدعوة الاباضية ، ابان نشوئها وتطورها فى البصرة .

العلاقة بين التنظيم السرى فى البصرة والأقاليم الأخرى :

ليست لدينا معلومات فيما يتعلق بانتشار الدعوة الأباضية فى عهد أمامها جابر بن زيد ، الا أن الدعوة بعد وفاته سنة ٩٣ هـ ، أخذت بالتوسع والانتشار فى عدد من الأمصار الاسلامية ، فقد توجه الدعاة الى اليمن وعمان والمغرب ، وقد استطاعوا نشر الدعوة الأباضية فى هذه الأقاليم ، ويعود الفضل فى ذلك الى الامام الأباضى أبى عبيدة بن أبى كريمة ، اذ أسس مدرسة علمية يتخرج فيها الدعاة بعد أن يدرسوا العلوم الاسلامية وما يتعلق بأساليب الدعوة ، وأمور السياسة والحرب ويسمون « حملة العلوم »(١٢٦) ويشير الدكتور محمود الى فشل

---

(١٢٤) الدرجينى ، والطبقات ١/ ورقة ١٠٨ أ .

(١٢٥) الشماخى ، السير ، ٩١ .

(١٢٦) الورجلانى ، أبو زكريا يحيى بن أبى بكر ، السير وأخبار الأمة ، ورقة ٢ أ . العوتبى سلمة بن مسلم ، أكساف الحرب ورقة ٩٣ب ١٧٠ ب الدرجينى ، طبقات الاباضية ١/ ورقة ١٠ ، ١٠ ب أطفيش محمد بن يوسف بن عيسى ، الامكان فيما جاز أن يكون أو كان . (الجزائر ١٣٠٤هـ) ، ص ١٠٩ — ١١٢ .

الدعاة الاباضية فى خراسان واخفاقهم فى مهمتهم نظرا لتشييع أهلها ، ولأن أعدادهم كانت محدودة ، لا تفى بأمامة الظهور ، وقد جازفوا بالثورة على نصر بن سيار آخر ولاة بنى أمية فى خراسان (١٢٧) .

وقد انفرد اسماعيل محمود بهذه المعلومات عن ثورة الاباضيةهذه فى خرسان ، ونستطيع القول أن أحكامه بنيت على أساس الظن والاحتمال ولم يفرق بين الفرق الخارجية لأنه لم يعتمد على مصادر تاريخية فى اسناد قوله .

اذ أن المصادر الاسلامية كالبلاذرى ، أو الطبرى ، وابن الأثير وغيرهم لا يشيرون الى انتماء (شيبان بن سلعة) الى الأباضية ، وكذلك المصادر الاباضية لا توجد فيها أى اشارة الى ثورة أباضية فى خراسان والحقيقة أن اتباع شيبان بن سلمة كانوا من الخوارج ، وسموا فيما بعد بالشيبانية وهذه الفرقة تنتمى بالأصل الى الثعالبة (١٢٨) .

وقد ثاروا على نصر بن سيار آخر ولاة بنى أمية ، وقد قتل شيبان بن سلمة عام ١٣٠ هـ من قبل أبى مسلم الخراسانى (١٢٩) .

أما عن الدعاة الأباضية فى اليمن وحضرموت ، فقد استطاعوا أن ينشروا الدعوة فيها قبل غيرها من الأقاليم واشتهر منهم أبو أيوب وائل

---

(١٢٧) د. اسماعيل محمود ، الحركات السرية فى الاسلام ، ص ٣١ ـ ٣٣ بتصريف .

(١٢٨) البغدادى : الفرق بين الفرق (القاهرة ، ١٩٤٨) ، ص ٦٠ ـ ٦١ الكرمانى ، محمد بن يوسف ، الفرق الاسلامية ص ٧٩ .

(١٢٩) الطبرى ، الرسل والملوك ، ٣٨٥/٧ ـ ٣٨٦ ـ ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ٣١١/٤ ـ د. عمر فاروق ، طبعة الدعوة العباسية (بيروت ، ١٩٧٠) ص ٢٥ ، ١٩٨ .

ابن أيوب الحضرمى الذى اشترك بحركة اليمن عام ١٢٩هـ ، وهو من تلاميذ أبى عبيدة مسلم يستشيره فى ذلك (١٣١) ، وهذا دليل على ارتباط الدعوة بهذا الزعيم الأباضى •

أما بالنسبة الى الدعوة الأباضية فى عمان ، فقد حفظ لنا العوتبى فى كتابه « الأنساب » أسماء (حملة العلوم) من تلاميذ أبى عبيدة مسلم ابن أبى كريمة ، «ومنهم الربيع بن حبيب بن عمر الفرهودى ، وهو أحد العلماء الأربعة الذين حملوا العلم ونقلوه من البصرة الى عمان ، وكان يسكن فى البصرة بمكان يسمى الخزينة ، ومنصور الرباحى وبشير بن المنذر الترواني ومحمد بن المعلا الكندى الفشحى ، من الفشح من جبال كندة ، وراشد بن عمرو الحديدى بن النعمان ابن حاضر بن حديد(١٣٢) وأضاف اليهم الرقيشى هاشم بن غيلان السيحانى والمنير بن الزبير الجعلانى • وقد استطاع هؤلاء الدعاة أن ينشروا الدعوة الأباضية فى عمان ، وقد استجابت لهم بعض القبائل الأزدية العمادية ، والتى تمثل القوة البشرية المؤثرة فى تاريخ عمان السياسى • وكان أبو حمزة المختار ابن عوف الأزدى ، يسكن قرية مجز جنوب صحار ، وهو من أعلام الأباضية وقوادها العسكريين (١٣٣) وكان لدخول بعض الشخصيات من آل الجلندى فى حضيرة الدعوة الأباضية أثر عميق فى تاريخ عمان وأغلب الظن أنهم استجابوا لهؤلاء الدعاة ، فى أمامة أبى عبيدة مسلم ابن أبى كريمة(١٣٤) •

---

(١٣٠) الشماخى ، السير ، ص ١٠٥ •

(١٣١) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ٨/ ورقة ١٠ ب •

(١٣٢) العوتبى ، سلمة بن مسلم الصحارى ، أكساب ورقة ١٧٠ أ

(١٣٣) الرقيشى ، مصباح الظلام ، ورقة ٣١ ب •

(١٣٤) انظر الفصل الرابع فن الرسالة •

نشر الدعوة فى افريقيا :

وفى لعامة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة توجه الداعية الأباضى سلمة ابن سعيد مع أبى عبد الله عكرمة بن عبد الله ، مولى عبد الله بن عباس ، ولحقا بقيروان افريقية (١٣٥) ، ويظهر أن الدعوة الأباضية دخلت الى المغرب قبل المدة المحددة بين سنة ١٠٥ هـ وهى الحقبة التى حددها ابن خلكان بوفاة عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس (١٣٦) ، ولاسيما أنهما وصلا على بعير واحد ، سلمة يدعو الى مذهب الأباضية وعكرمة يدعو الى مذهب الصفرية(١٣٧) ، ويظهر أن سلمة بن سعد استطاع أن يجذب العديد من الأتباع لمذهبه الأباضى وخاصة بين القبائل البربرية ، وقد ساعده على النجاح المستوى الفكرى الذى تمتع به عموم الدعاة الاباضية من (حملة العلوم) فى هذه الحقبة اضافة الى الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية السيئة التى كانت تعيشها المغرب ، وكان سلمه متفاديا فى سبيل مذهبه وكان يقول : « وددت أن يظهر هذا الأمر يعنى مذهب الأباضية بالمغرب يوما واحدا من غدوة الى ليل فما أبالى ضربة عنقى » .

ودليل نجاحه أنه : دل حملة العلم أن بعضهم على موضع أبى عبيدة بالبصرة (١٣٨) كما أرشد أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافرى الى البصرة لتلتقى علوم المذهب الأباضى (١٣٩) ، من هذا يتضح لنا الدور الخطير الذى قام به سلمة بن سعيد فينشر الدعوة الأباضية فى المغرب .

---

(١٣٥) أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأمة ، ورقة ٢ أ ، المقدسى : أحسن التقاسم ص ٢٦٠ .

(١٣٦) وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٥ .

(١٣٧) الدرجينى ، طبقات الاباضية ١٠/ ورقة ٦ ب .

(١٣٨) الشماخى ، السير ص ٩٨ .

(١٣٩) المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

أما فيما يتعلق بعبد الرحمن بن رستم (١٤٠) ، فيبدو أنه اعتنق المذهب الأباضى فى العقد الثالث من القرن الأول الهجرى ، ثم أرشده أحد الدعاة الأباضية بعد أن توسم فيه الذكاء والاخلاص والاجتهاد فى معرفة الدعوة الأباضية وقال له : « اذا كنت تريد علم هذا الأمر ، الذى كفلت به وعلقته وأراك تطلبه فدونك أرض البصرة فان بها عالما يكنى أباعبيدة واسمه مسلم ابن أبى كريمة فانك تجد عنده ما تطلب (١٤١) وفى رواية الشماخى أن عبد الرحمن ابن رستم لما سمع سلمة بن سعيد يدعو الى الأباضية أعجب بها واعتنقها مذهبا له (١٤٢) ، ويبدو أن سلمة بن سعد قد اتفق مع أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ليرسل له مجموعة من أباضية المغرب ، يمتازون بالذكاء العلمى والطموح السياسى ، فلا يمكن أن نفسر ترحيب أبى عبيدة لهم عند وصولهم البصرة (١٤٣) الا بوجود اتفاق مسبق بينهما ، وقد وصل البصرة خمسة من هؤلاء الدعاة وهم عاصم السدراتى واسماعيل بن درار الغدامسى وأبو داود القبلى النفزاوى ، ويظهر من أسمائهم أنهم ينتمون الى القبائل البربرية فى المغرب وعبد الرحمن ابن رستم الفارسى الأصل وأبو الخطاب عبد الأعلى ابن السمح المعافرى الحميرى من أهل اليمن (١٤٤) ومكث هؤلاء الدعاة عدة سنين يتلقون دروسهما فى المذهب الأباضى والادارة والسياسة ، وقد حتمت الظروف الصعبة التى مر بها أبو عبيدة فى البصرة أن يعقد دروسه مع هؤلاء الدعاة بعيدا عن أنظار السلطة الأموية ، يقول أبو زكريا يحى بن أبى بكر : « وكان الشيخ أبو عبيدة رضى الله عنه مستخفيا

(١٤٠) ابن خالدون ج ٦ ص ٢٤٦ .

(١٤١) أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأمة ، ورقة ٢ أ .

(١٤٢) الشماخى ، السير ص ١٢٣ .

(١٤٣) الدرجينى ، طبقات الاباضية ١/ ورقة ٩ ب ١٠ ة — الشماخى السير ص ١٢٣ .

(١٤٤) الدرجينى : طبقات الأباضية ١/ ورقة ٩ ب .

متخوفا من بعض أمراء البصرة وأدخلهم سربا وجعل فيه سلسلة فصار يعمل اقفافا بباب السرب فمتى ما رأى شخصا مقبـلا حرك السلسلة فيسكتون ، فاذا انصرف حركها فيأخذون فى دراستهم (١٤٥) ومن هذا النص تتضح مهارة أبى عبيدة مسلم فى التستر على الدعاة المغـاربة ، الذين صاروا أقطابا للدعوة الأباضية فى المغرب وأكملوا ما بدأ به الداعى سلمة بن سعد وكان لتمويه أبى عبيدة وتظاهره بصنع القفاف قد رسخ فعلا فى ذهن السلطة الأموية فى البصرة أن هؤلاء الدعاة وشيخهم فقراء يبغون كسب عيشهم من وراء انتاج القفاف ، ولم يدر فى خلد السلطة الأموية أن سرب القفاف من أنجح الخلايا السرية فى أعداد القـادة السياسيين ، ولا نستطيع أن نعطى تقديما لهذا الوعى السياسى لدى أبى عبيدة مسلم الا اذا علمنا أن تلاميذه هؤلاء استطاعوا أن يقيموا دولة أباضية فى المغرب بعد جهود مضنية اتسمت بالكمان تارة والظهور تارة أخرى وتوجوا جهودهم باقامة الدولة الرسمية بتاهرت (١٤٦) عام ١٦٠ — ٢٩٦ هـ .

واستمرت هذه الاتصالات بين الدعوة فى المشرق والمغرب ، وقد جاء فى رسالة ابى عبيدة مسـلم القيمة التى تظهر مهـارة أبى عبيدة ومتابعته لنشاط دعاته فى المغرب ويبدو أن هناك من يكتب اليه بأخبارهم دون معرفتهم كما يفهم من الرسالة وتظهر أهمية الرسالة من النـاحية التاريخية القوة لسدادها لأنها وردت فى مدونة أبى غانم الخرسانى من علماء القرن الثانى الهجرى وهى عبارة عن رسالة فى الزكاة وجهها اليه الدعاة فى المغرب يسألون عن العشر وجاء فيها فلعمرى لقـد سرنى

---

(١٤٥) أبو زكريا السيرة وأخبار الأمة ورقة ٥ أ ـ الدرجينى ، طبقات الأباضية /١ ورقة ٩ ب .

(١٤٦) أبو الفدا تقويم البلدان ص ٣١٩ .

(١٤٧) أبو غادم الخرسانى . المدونة الصغرى ، ورقة ١١٣ ـ ١١٤

ما انتهيتم اليه عن أمركم وأن ذلك لم يخف عنا غير أنا لم نكتف الذى كتبتم فيه الى الله يستتم لكم الخير كله(١٤٧) ٠

وعلى هذا يمكن ادراك تأثير أبى عبيدة مسلم فى تطور الدعوة الأباضية التى أنتجت دولتين ، الدولة الأباضية بعمان والدولة الرسمية بتـــاهرت ٠

وفى ختام هذا البحث لابد أن نشير الى ضعف النشاط الأباضى فى البصرة بعد امامة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ، اذ أن خلفه الربيع ابن حبيب الفرهودى لم يكن يملك المؤهلات القيادية التى تمتع بها أبو عبيدة مسلم بن أبى كريمة ويظهر هذا واضحا فى ســكوت المصــادر الأباضية عن النشاط الأباضى فى البصرة(١٤٨) اللهم باستثناء اشارات قليلة تشير الى الصلات الوثيقة بين الدولة الرسمية والربيع بن حبيب فى البصرة ، وأبرز مظاهر هذه الاتصالات المساعدات المالية التى جمعها الدعاة الأباضية فى البصرة لاعانة الدولة الناشئة فى تاهرت وفى رواية لأبى زكريا يقول فيها : ثم أن عبد الرحمن اتصلت أخباره الى البصرة من أهل دعوة المسلمين فبعثوا اليه بثلاثة أحمال مالا فلما وصلت الرسل تاهرت صاروا يسألون عن دار الامارة فلما افتتت لهم الدار قصــدوا نحوها ٠٠٠ فأشاروا عليه ــ أى عبد الرحمن بن رستم ــ أن يأخذهــا فيبثها فى فقراء المسلمين والسلاح والعدة ٠٠ (١٤٩) وكانت هذه المعونة الأولى من البصرة الى الأباضية فى تاهرت ثم أرسلوا له معونة ثــانية فى وقت ازدهرت فيه الدولة الأباضية فى تاهرت فأرجع عبد الرحمن هذه المعونة الى البصرة (١٥٠) ٠

---

(١٤٨) ينظر ، الدوجينى ، طبقات الأباضية ٠ أبو زكريا ، السيرة وأخبار الأمة العوتبى ــ الانساب ٠

(١٤٩) أبوزكريا ، السيرة وأخبار الأمة ، ورقة ١٤ ب ٠

(١٥٠) المصدر الســابق ــ البارونى عبد الله ، النفوس ، الازهار =

ونلاحظ هنا أن الدعوة فى البصرة وجهت اعاداتها المالية الى المغرب لأن الدعوة الأباضية بعمان أقامت دولتها بعد سبعة عشر عاما — من قيام الدولة الرسمية •

واستمرت الاتصالات بين البصرة والمغرب خاصة عند حدوث المشاكل بين أهل الدعوة ، فيطلبون حلها من الربيع بن حبيب الذى كان يبعث بفتواه اليهم كمثل لرأى الدعوة الأم فى البصرة(١٥١)،ثم أخذت الدعوة الأباضية بالانحسار فى البصرة بعد قيام الدولة الأباضية الثانية بعمان ١٧٧هـ/٧٩٣م • ويبدو أن الكثير من هؤلاء الدعاة قد هجروا البصرة الى عمان ليعيشوا تحت ظل مذهبهم وسيادة تعاليمه •

وأخيرا تعرفنا فى ختام هذا البحث على الدور الخطير الذى قامت به مدينة البصرة فى تاريخ عمان والمغرب من الناحية السياسية •

نتائج العمل السرى للدعوة الأباضية :

ان قادة الدعوة الأباضية اتبعوا سبيلا ، جديدا ظاهره القعود وعدم التدخل فى شئون السياسة والحرب ليبعدوا عن الدعاة أنظار السلطة الأموية والسياسية ولقد أفاد العمل السرى الدعوة الأباضية ، اذ مكن الدعاة بما لهم من قابليات علمية ، ومراكز اجتماعية مرموقة من جذب الناس الى حضيرة المذهب الأباضى دون مضايقة كبيرة من الولاة المتعاقبين على البصرة ، وفى الجانب الآخر كانت التنظيمات السرية تعد نفسها اعدادا ثوريا وتخرج الدعاة من مدرسة البصرة الفكرية ، لممارسة الثورة المسلحة عند سنوح الفرصة المؤاتية ، كما

=

الرياضية فى أئمة وملوك الأباضية القسم الثانى (تونس • لا ت) ص ٨٦ فما بعد •

(١٥١) البارونى ، الأزهار الرياضية ، ق ٢/١٠٢ •

نلحظ ذلك فى رسالة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة للدعـــاة الأباضية فى المغرب (١٥٢) •

وبهذا يتبين لنا أن الدعوة الأباضية فى هذه الحقبة أتبعت اسلوبا سياسيا ظاهره المهادنة وباطنه الاستعداد وكان لسلوك الدعاة المسالم أثر فى تجنب أذى السلطة والمضايقة • بغض النظر عن المضايقات التى مارسها الحجاج بن يوسف الثقفى • وقد استمروا فى سلوكهم هذا حتى بعد قيام ثوراتهم على الدولة الأموية والعباسية ، ونستطيع أن نتلمس هذه المواقف فى موقف السلطة الأموية والعباسية من أبى عبيدة مسلم ابن أبى كريمة ، المرجع الأعلى للاباضية ، أبان ثورة اليمن ، وعمان ، وثوراتهم بالمغرب ، اذ بقيت هذه السلطات تجهـــل أن أبا عبيدة مسلم رأس الثورات ومصدرها ولو عرفت ذلك لعرضـــته للموت بدون أدنى شك ولو أن هذه السلطة تعرف اتجاهه المذهبى والعقائدى(١٥٣) ولكنها لم تتوصل الى دليل يثبت صـــلته بالحركات الثورية مما يدل على قوة التنظيم السرى ودقته وكتمانه •

كما لاحظنا أن توسع وانتشار المذهب الأباضى له ارتباط بالقدرات القيادية لدى أئمة الدين ، فى مرحلة الكتمان فى البصرة ، فلاحظنا قوة النشـــاط الأباضى فى أمامه جابر بن زيد وازدهارها فى امامة أبى عبيدة مسلم وخمولها فى امامة الربيع بن حبيب الفرهودى ، لأنه لم يكن يملك من المؤهلات القيادية للدعوة التى امتاز بها قادتها السابقون • ويمكن أن نجمل الأسباب التى أدت الى نجاح الدعوة الأباضية فى هذه المرحلة بما يأتى :

---

(١٥٢) أبو غادم الخرسانى ، المدونة الصغرى ، ورسالة فى الزكاة، ورقة ١١٣ ــ ١١٤ •

(١٥٣) قال أبو جعفر المنصور لما علم بموت أبى عبيدة مرجعا وقال ذهبت الأباضية • الشماخى ، السير ص ١٩١ •

أولا : نظرة أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة ودراسته المستوعبة لمشاكل المناطق التى كانت مستاءة من الحكم الأموى ، وعلاقة هذه المناطق بالسلطة المركزية من حيث القوة والضعف فعندما أدرك أبو عبيدة مسلم أن الدولة الأموية فى طريقها الى الزوال • أوعز الى أباضية اليمن بالتعجيل بالثورة(١٥٤) ولم يفكروا بالثورة فى البصرة رغم أنها المركز الأم لتنظيمهم لأسباب أوجهها قرب البصرة من مراكز الحكم القوية ، ووجود عدد من الأحزاب الأخرى •

ثانيا : القيادة الجماعية للدعوة ــ اذ توفرت مجموعة من المشايخ الأباضية كمجلس شورى ، من ذوى القدرات التنظيمية فى مساعدة أبى عبيدة مسلم ، كضمام بن السائب وأبو الحر بن الحصين ، وحاجب الذى كان مسئولا عن جميع النشاطات العسكرية • وقد قام بجمع المال والسلاح للثورة باليمن سنة ١٢٩هـ(١٥٥) •

ثالثا : المقدرة الفكرية التى تمتع بها الدعاة الأباضية ، وجذبهم لقلوب الناس لمذهبهم ، وليس بخاف علينا خطب أبى حمزة المختار بن عوف المشهورة فى بلاغتها وخطب عبد الله بن يحيى الكندى (طالب الحق) فى صنعاء مما يدل على اعتقاد القادة بصحة الفكرة التى آمنوا بها ان وضوح العقيدة لدى الداعية تجعله يستميت فى سبيلها •

كما كان جابر بن زيد من فقهاء البصرة والمشهورين ، وأبو عبيدة الذى كان فقيها ومحدثا وسياسيا من الرعيل الأول •

رابعا : الاخلاص والولاء المتناهى لهؤلاء القادة ، الذين أوقفوا حياتهم على الدعوة للاسلام متخذين من الآية الكريمة مصداقا لحياتهم « ان الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنة •• » ويمكن أن نلاحظ هذا فى أقوال وسلوك الدعاة الذين لم يكونوا يفكرون

---

(١٥٤) البلاذرى ، أنساب الأشراف ، ٧/ ورقة ١٠ ب •
(١٥٥) الشماخى ، السير ص ٩٠ •

بدوافع اجتماعية ، واقتصادية من وراء أعمالهم كقول الداعية سلمة بن سعد أول داعية أباضى الى المغرب : « وددت أن يظهر هذا الأمر يعنى مذهب الاباضية بالمغرب يوما واحدا من غدوة الى ليل ، فمـا أبـالى ضربة عنقى » (١٥٦) •

خامسا : صلابة الدعاة فى مرحلة الكتمـان والتخفى على التنظيم السرى رغم تعرضهم لصنوف التعذيب ، وظهر هذا واضحا فى مواقف الدعاة الصلبة وعدم التصريح بوجود مثل هذا التنظيم جعل السلطتين الأموية والعباسية لتعير أدنى اهتمام ، وحساب سيـاسى لهذه القوة المتنامية فى الخفاء ، وفى مواقف أبى عبيدة مسلم وضمام بن السـائب وحاجب أبى مودود خير دليل على ذلك (١٥٧) •

ساسا : السرية فى العمل والتنظيم ، واستعمال وسائل عملية ناجحة فى ضبط العمل السرى ، فاذا أخرج داعية أبـاضى من الدعوة الأباضية فى مرحلة الكتمان ولم يدل على عوراتهم ، تركوه وشأنه ولكن هذا الخارج لو قام بفضح عوراتهم ونشـاطهم وذكر أسمـائهم لدى السلطة فالقتل حكمه اذ أشار جابر بن زيد بقتل خردلة حين سأل عن أفضل الجهاد لأنه دل على عوراتهم فكان قتله أفضل الجهاد •

ولا شك أن هذا الحكم يناسب هذه الأهمية لأن انشاء مثل هذه المعلومات يؤدى الى ضياع كل الجهود السرية التى بذلت عبر السنين الطويلة •

وبهذا نستطيع أن نفسر فشل أغلب الحركات الخارجية ونجـاح الأباضية فى اقامة عدة دول كالدولة الأباضية فى عمان والدولة الرسمية فى تاهرت وبقاء المذهب وانتشاره حتى اليوم فى حين اختفت جميع الفرق الخارجية الأخرى •

---

(١٥٦) الشماخى السير ص ٨٧ •

(١٥٧) الجيطالى ، شرح قواعد الاسلام ورقة ١٧ ب •